تتجاوز الأحكام العامة المطلَقَة ، التي لا يتحدد معها البناءُ الفنيُّ الخاص الذي من أجله قُدِّم التبرير أو صَدَر التعليل . فعبد الملك يقول لمؤدِّب أولاده: « أدِّبهم برواية شعر الأعشى ؛ فإن لكلامه عذوبةً – قاتله الله – ما كان أعذب بَحْره ، وأصلب صَخْره ، فمن زعم أن أحدًا من الشعراء أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .» (١)

وعندما قيل لجرير كيف شعرُ الفرزدق ؟ قال : كذبَ من قال إنه أشعر مني . قيل : فكيف شعرك ؟ قال : أنا مدينة الشعر . قيل : كيف قول الراعي؟ يريد راعي الإبل – قال : شاعرٌ ما خلّيته وإبله وديمومته . قيل : فكيف شعر الأخطل ؟ قال : أرمانا للأعراض . قيل : فكيف شعر ذي الرُّمَّة ؟ قال : نقط عروس وبعر ظباء (٢).

ومع غياب التقييم الفني المؤسَّس على معايير موضوعية يُقَدَّم شاعر في مجلس ، ويؤخَّر الشاعر نفسه فيه أو في غيره من المجالس . فالأخطل يصف نفسه – في مجلس عبد الملك – بأنه أشعر الناس . فيواجهه الشعبي بأبيات للنابغة يقول فيها :

هَذا غُلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ ... مُسْتَقْبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمامْ
لِلْحارِثِ الأَصْغَرِ وَالحارِثِ الـ ... ـلأَعْرَج والحارِث خَيْرِ الأَنامْ
ثُمَّ لهنْد ولَهِنْدٍ وقَدْ ... أَسْرَعَ في الخَيْراتِ مِنْهم أمامْ
سِتَّةُ آبائِهِمُ ما هُمُ ... هُمْ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمامْ

فيعود الأخطل ويقرّ بأن النابغة أشعر منه (٣).

(١) القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص٣٠ . (٢) السابق : ص٣٥ . (٣) السابق : ص٢٦ .